صلة الفلسفة بالعلوم والمعارف

1- صلتها بالدين عند المسلمين: ما طبيعة العلاقة بين الدين كعقيدة والفلسفة كعقل ؟ في إطار علاقة الفلسفة بالدين يمكن الوقوف على رأيين متعارضين:

1.1- علاقة انفصال وتضارب

لقد تمّ رفض الفلسفة في البداية من قِبَل العامة، وكذا بعض الفقهاء، وهذا نظرا لجملة من الأسباب يمكن ايجازها فيما يلي:

أولا- المصدر اليوناني لنشأة الفلسفة.

ثانيا- كما أنّ الإيمان يغنينا عن استعمال العقل.

ثالثا- لا توجد في القرآن والسنة فلسفة صريحة.

ثالثا- الاستدلال بموقف الغزالي فيما يخص كتابه "تهافت الفلاسفة" وكذا المنقذ من الضلال؛ أين خصّص النقد في المبحث الإلهي على وجه التحديد، حيث قال "إنّ الفلاسفة يجمعون شروطاً يعلم أنّها تورث اليقين لا محالة، لكنهم عند الانتهاء إلى المقاصد الدينية ما أمكنهم الوفاء بتلك الشروط؛ بل تساهلوا غاية التساهل"[1].

ثالثا- الاستدلال بموقف ابن الصلاح الذي رفض الفلسفة في شكل قياس قائلا: "الفلسفة شر. المنطق مدخل إلى الفلسفة. المدخل إلى الشر شر"[2].

مناقشة الموقف

- العلم والمعرفة عموما من واجب المسلم البحث عنها بغضّ النظر عن الزمان والمكان.
- أنّ أول رسول إلى الانسان هو العقل.
- في القرآن والسنة توجّهات تدعو إلى التفلسف.

1- الغزالي، أبو حامد، المنقذ من الضلال، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة 3، 1962م، ص: 26.

2- ابن الصلاح: فتاوى ومسائل في التفسير والحديث والأصول والفقه.

- أما بالنسبة للغزالي فإنه بالنظر الى مقدار ما قَبِلَهُ، مقارنةً بما رفضه من البنية الفلسفية، يمكننا القول إنه لم يرفض من الفلسفة سوى مقدار قليل فقط. ولعلّ هذا هو ما جعله يعنون كتابه بـ(تهافت الفلاسفة) لا (تهافت الفلسفة).
- بل حتى المنطق، الذي خصّص له كتابه (معيار العلم)، صرّح بأنّ هذا الكتاب هو القسم الأخير من متن التهافت؛ بمعنى أنّ التهافت لا يقصد منه المباحث الفلسفية جميعها؛ بل منها ما هو ضروري، وحتى واجب، لقد صرح قائلا "من لا معرفة له بالمنطق لا ثقة بعلمه".
- أما بالنسبة لابن الصلاح فإنّ مصطلح (الفلسفة شر) الذي وظّفه في المقدمة الكبرى هو حكم تمّ فيه إسناد حد لآخر. إلا أنَّ لِلُّغة مراتب يقتضي مراعاتها أثناء استعمالنا لها؛ فمِنْ غير المقبول حَمْل صفات للموضوع ليست من رُتبه. وهو ما لم يتم احترامه مِن قِبَل واضع الاستدلال، فالموضوع من رُتْبَة فكرية يتعلق بالمجال الميتافيزيقي، بينما المحمول هو قيمة أخلاقية. فالمقدمة الكبرى فاسدة منطقيا. إنّ الاقناع نوعان: عقلي منطقي –وهو ما تفاداه ابن الصلاح–، وآخر سيكولوجي يُراعي الجانب البراغماتي (ميول، عواطف، مشاعر الجمهور). لقد استَعمَل حُجَّةً ظاهرها عقلي يسعى لإظهار الحقيقة. وباطنها براغماتي يهدف إلى دغدغة العواطف لكسب مشاعر الجمهور، بالاعتماد على الخطابة والتهريج، لأنَّ وصْفها بالشر يكون له وَقْع شديد في نفوس أصحاب العقيدة.

1.2- الرأي القائل بوجود تكامل بين الدين والتفكير الفلسفي

بالمقابل، فقد كان الردّ واضحا من قِبَل ابن رشد فقد ألّف كتابا يوضّح فيه مدى التكامل بينها تحت عنوان "فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال" يقول ابن رشد موضحا الهدف من الكتاب "إنّ الغرض من هذا القول أن نفحص، على جهة النظر الشرعي، هل النظر في الفلسفة وعلوم المنطق مباح بالشرع ؟ أم محضور ؟ (...) فنقول: إنْ كان فعل الفلسفة ليس شيئا أكثر من النّظر في الموجودات، واعتبارها من جهة دلالتها على الصانع،

أعني من جهة ما هي مصنوعات، فإنّ الموجودات إنّما تدلّ على الصانع بمعرفة صنعتها، وأنّه كلما كانت المعرفة بصَنْعَتها أتمّ، كانت المعرفة بالصانع أتم".

- وإذا تمعنّا في القرآن والسنّة لا نجد فيهما فلسفة، ولكن فيهما توجهات تدعو للتفلسف، وهو ما يعزّز موقف ابن رشد الداعم للفلسفة سواء من كتاب الله، كقوله تعالى: "فاعتبروا يا أولى الأبصار"[1]. "أوَ لم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء".[2] وكذا في السنّة النبوية "الحكمة ضالّة المؤمن، حيث وجدها فهو أحقّ بها".[3]
- على هذا الأساس فالعلاقة تكاملية بين الدين من جهة، والفكر الفلسفي القائم على العقل من جهة ثانية: إنّ هناك العديد من الآيات القرآنية التي تتطلّب التأويل العقلي، وإلا كان تفسيرها في غير محله كقوله تعالى "بل يداه مبسوطتان".[4] فشتان بين الايمان القائم على العقل والايمان الذي مصدره العادة. بالمقابل فالعقل البشري في حاجة لضوابط شرعية يمليها الدين وإلا وقع في الكفر والزندقة.

وكخلاصة فمن الضروري تحصين العقل بالإيمان، وتعميق هذا الإيمان بالعقل، سيّما إذا تعلّق الأمر بالتأمّل في الغيبيات، وفي مبدأ عقيدة التوحيد على وجه الخصوص.

---

[1]– الحشر: الآية 02.

[2]– الأعراف: الآية 185.

[3]– رواه الترمذي عن حديث أبي هريرة.

[4]– المائدة: الآية 64.